

الجنسيات العثمانية

﴿ والفتان العربية والتركية ﴾

ان من شؤون مدينة هذا العصر المحافظة على أجناس الموجودات حسية كانت أو معنوية قبرى الغربيين أئمة هذه المدينة اذا رأوا نوعا من الحيوانات الارضية أو الجوية أو المائية أخذ في التقص حتى خيف من اقراضه حرما صيدها ان كان مما يوكل وقتله ان كان مما لا يوكل وان كان ضارا كما يحافظون على العاديات والا تار القديمة جميعها ، وراهم أيضا يرغبون في بقاء نموذج من الأديان والمذاهب الدينية وغير الدينية واللغات المستعملة وغير المستعملة حتى انهم أحبوا بعض اللغات التي ماتت وبقي أثرها وجعلوا يتدارسونها ويتنافسون في معرفتها ما كان لهذه المدينة أن تحافظ على أجناس الحيوان والجماد وتسمح باقراض بعض أجناس الناس (١) بل هي أشد محافظة على أجناس الناس ومقومات جنسيتهم من اللغة وغيرها واعتبر ذلك بالأجناس المكونة لمملكة النمسا (الامبراطورية) ثقتهم واضحا جليا ،

كان الجنس في العصور الماضية يقرض باقراض أفرادهم كالم أوجدهم بالموتان والأوبئة أو بالحرب وما يعقب الغلب فيها من العبودية والذل الذي يقابل النسل رويدا رويدا حتى لا يبقى منهم أحد أو يبقى منهم حالة ممزقة في الأرض لا نسي شعبا ولا تمدا قبيلة ،

وهناك ضرب من اقراض الجنس يتحقق بأحلال رابطة الجنسية

(١) نستعمل لفظ الجنس والأجناس هنا بمعناه اللغوي والعرفي لا المنطقي فالمنطقي يسمى جنس الترك أو الروم مثلا صنفا من نوع الانسان الذي هو من جنس الحيوان على ان الاجناس مراتب عند المناطقة منها العالي والمتوسط والسافل فتدخل فيها الانواع والاصناف

وزوالها لا باقراض الاشخاص واقطاع الأنسال وهو أن يدخل الجنس في دين جنس آخر أو لفته فيمتزج به ويلابسه في تقاليد وعاداته حتى يذوب فيه ويصير من عناصره المكوّنة لذاته كما امتزجت الاجناس السوروية في الجنس العربي باللثة في جميع الافراد وبالدين في أكثرهم ونسبت جنسيتهم النفسية وزالت جنسيتهم اللغوية وصاروا كلهم عربا

هذا النوع من زوال الجنس أو الجنسية هو من الترقى والكمال في الانسانية لا من التقص أو المرض الذي يمرض لها لان الانسان عالم اجتماعي فكما اتسع نطاق الاجتماع وقل التفرق والاقسام فيه زادت الانسانية كالأول ولهذا يرى حكماء الاجتماع ان متهى الكمال البشري في هذه الحياة ان يكون الناس كلهم أمة واحدة لا يفرق بينهم نسب ولا لثة ولا وطن ولا دين ، ويستحيل ان يتحولوا الى هذا دفعة واحدة وانما يكون مثل هذا باندغام بعض الاجناس في بعض بالتدرج البطيء . وان الام الكبرى التي تجتهد بنشر لغاتها وآدابها في ارجاء العالم تطمع كل واحدة منها في ان تكون لغتها هي لغة البشر كلهم في المستقبل البعيد لكي يكون لها الامامة وبقاء التاريخ والذكر في الزمن المستقبل على ما يكون لها من السبق الى الاستمادة من توسيع دائرة جنسيتها في الحال . ولا ينافي هذا ما نشاهد عليه الانكليز — وهم اطعم الام في هذه الغاية — من شدة محافظتهم على جنسيتهم وغلوم في أثرهم لما عليه الانسان من الحرص والبخل بمميزاته وخصائصه سواء كانت شخصية أو قومية ، وان هذا البحث ليتسع لتفصيل ليس هذا المقال بموضعه وانما ذكرناه فيه تمهيدا وقدمة لا مقصدا . وعندني ان الاسلام يرمي الى هذه الجامعة العامة (١) ومن فروع هذا المبحث اني لا مندوحة عن ذكرها في باب التمهيد ان هذا النوع الكالي من زوال الجنسيات أو تحول بعضها الى بعض لا يكاد يرضى شعب من الشعوب بأن يكون هو المدغم في غيره لاجل تحقيقه فضلا عن ان يرضى بذلك ايثارا لتقويات جنس آخر على قوميات جنسيته ، وسبب ذلك ما ذكرنا آنفا من حرص الانسان على خصائصه ومميزاته وان كانت ضارة كمعض التقاليد والادوات وانما له طريقان

أحدها القلب والقهر وطبيعة المدينة الحاضرة تأبأهلا ذكرناه في فاتحة الكلام، وثانيهما التحالف والاتحاد في المصالح والمنافع بحيث يأخذ كل جنس من الآخر أمثل ما عنده يقتضى سنة الانتخاب الطبيعي الى ان تطلب مقومات جنسية أحدهما في مجموعها على مقومات جنسية الآخر ويصيران جنسا واحدا وهو ما يطعم فيه بعض الغربيين في مستمر آهم كفرنسا في الجزائر، والشعوب العثمانية اخرج اليه ولن يكونوا امة واحدة بدونه ينتج ما هدم من المقدمات ان الدولة العثمانية لا تستطيع في هذا العصر ان تحمل رابطة جنس من الاجناس التي تتكون منها أمتها بالقهر والإكراه، ولا بالخلابة والاقناع، بل سبيلها اللابح أن تواف ينبا في المناغم والمرافق، والمصالح والوظائف، وتوحدتها بجنسية الشريعة والقانون، دون جنسية اللغة والدين، حتى يتمازج منها ما هو مستمد للمزج، وينبذ مزاج وحدتها الجديدة من لا يقبل ذلك من الاجناس كما ينبذ مزاج الجسم المتقلد ما عساه يدخل فيه من الاجسام الغربية

أعني بهذا النيب والليب يفهم ما تقتضيه طبيعة الاجتماع من ذلك لان الدولة نفسها تنفي من بلادها الآن بعض الاجناس . ذلك ان الجنس الذي لا تقبل طبيعته الوحدة العثمانية التي ذكرناها (كجنس الروم فيما يظهر) لجذب جنسية أخرى هي أقوى منها في حقه يتسلل اكثر أفراده في بلادها بالهجرة أو سبب آخر ويتصلون بجنسهم الذي تربطهم به عدة روابط لكونه أقوى على جذبهم من الجنس الذي يرتبطون فيه برابطة واحدة

أما تنازع البقاء بين الجنسيات اللغوية في الشعوب العثمانية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي الى قلب الامثل فيكون على أشده بين العربية والتركية لانها اللغتان الحيتان للشعبيين الكيرين في الأمة والاولى منهما لغة الدين الذي يكفله منصب الخلافة والثانية لغة السلطنة الرسمية وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا ان الاومن شعب صغير وعنده قريب بتدوين لغته وجعلها لغة علمية ولا يطعم أحد من عقلائه بنشر هذه اللغة في شعب آخر فهي لغة قاصرة محصورة غير قابلة لحياة النشر والامتداد لعدم الحاجة اليها عند غير أهلها واللغة التركية مزاجها فيها أنفسهم فهي امالك لألسنتهم من لغتهم

وأما الألبان والأكراد فهم حتى اليوم لم يدونوا لغتهم وبجملوها لغة علم ولا يطعمون في نشرها ونحوها أحد من الشعوب الأخرى إليها والتركية مزاحة لها في الشمين وكذا العربية لاسيما في بعض بلاد الأكراد كالسليمانية وغيرها . ثم ان الذين يجذبهم الى هذه الادارة يجذبهم الى تلك فزيادة عناية كل شعب من هذين الشمين بلقته ومحاولة إحياءها تقليدا لما ذكرناه من طبيعة المدينة العربية لهذا العهد لا يفيد الا أثقالا تسوقه عن تحصيل العلوم ومجاراته غيره بالترقي فيها لأنه ان ترك العربية قصر في دينه الذي هو أعز شيء عليه وان ترك التركية قصر في عثمانيته وما يترتب عليها من الفوائد فلم يبق الا انه يضيع بعض زمن التحصيل في دراسته لغته القومية ولا يرى المقلد منهم يطعمون في تأسيس دولة لأنهم يظنون انه لا فرق في ذلك بين شميمها وبين الشعب الارمني من حيث انه طمع في غير مطمع يضر الطامع ويضر الدولة فيقوى عليها الطامعون فيهما ، ولضرر الشعب الصغير من ذلك أكبر من ضرر الأمة الكبيرة . على ان محاولة تزويق السلطة محرم في الاسلام فالشعب الاسلامي الذي يطارق الجماعة يجني على دينه وعلى دنياه - فالتنازع الحقيقي في لغات الشعوب العثمانية إنما هو بين العربية والتركية

يرى بعض الترك القائلين في عصبية الجنس انه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة التركية وحدها لغة التعليم وتلزم جميع العثمانيين بتعلمها وتجعلها اللغة الرسمية في جميع معاملات الحكومة حتى التقاضي والمرافعة في المحاكم الى ان تحول العرب من دونهم من العثمانيين الى الجنسية التركية . ويظنون ان هذا أمر ممكن حتى في عصر الدستور ، وما ظنهم هذا الا اثم وغرور

ويرى بعض العرب بنزعة دينية وبمضهم بنزعة جنسية أنه ينبغي للدولة ان تجعل اللغة العربية هي لغة العلم ثم تجعلها بعد انتشارها اللغة الرسمية لأنها لغة الشعب الأكبر من الشعوب العثمانية ولغة الدين لجميع مسلميها ومسلمي سائر الآفاق الذين يرتبطون معها برابطة الخلافة ، وينقلون عما بيناهم في القسم التمهيدي من هذا المقال من شأن المحافظة على الجنسية لاسيما في شعب يرى لنفسه حق السيادة فان تنازل

عنها بالدستور فانه يصعب عليه أن يترك من مميزاته ما حفظ لنفسه الحق في استبقائه
 بنص القانون الاساسي وهي جعل لغته هي اللغة الرسمية للدولة
 ان عوامل اختلاف اللغة في الدولة لا تنكر وان فوائد توحيدها ووحدة الامة
 بها لا تبطل وان رجحان العربية في الدين والعلم والسياسة هو اوضح واظهر فانها هي
 التي تتوفر الدواعي على تميمها لان الناطقين بها أكثر من الناطقين بغيرها، وإرجاع
 القليل الى الكثير سهل من عكسه. ولأن للترك والكرد والاليان باعنا نفسيا بعثهم على تعلمها
 وهو الحاجة الى فهم كلام ربهم (عز وجل) وحديث نبيمهم (صلى الله عليه وسلم)
 وحكم سلفهم الصالح (رضي الله عنهم) وكتب أئمتهم في التفسير والحديث والفقه
 وغيرها من علوم الدين (رحمهم الله) والوقوف على تاريخ دينهم . ومن الجهل ان
 يقال انهم يستغنون عن ذلك كله بالترجمة لما سئنه في فرصة أخرى - ولأن جعلها اللغة
 الرسمية هو الذي يزيل خطر تفرق الاجناس فاذا اتفق عليها المسلمون الذين يشاركون فيها
 غيرهم من الملل في البلاد العربية لا يبقى للروم والارمن سبيل لطلب تعليم لغتهم
 في مدارس الدولة ولا يكون لتعليمها في مدارسهم خاصة تأثير في اضماف الوحدة
 - ولانها لغة حضارة سابقة وعلوم وفنون - ولأنها اللغة المشتركة بين جميع المسلمين
 ولانه يمكن ان توسع دائرة نفوذ الدولة بنشرها في الممالك الشرقية التي يكثر فيها
 المسلمون (كالصين وجاوه والهند) من غير نفقة توازي عشر معشار ما تنفقه الامم الغربية
 لنشر لغاتها وتوسيع دائرة نفوذها وتجارتها في الشرق - ولأن الدولة تأمن بذلك من
 قيام دولة عربية تدعي الخلافة وتنازعها النفوذ في العالم الاسلامي بنفسها او بمساعدة بعض
 دول أوربا - ولأن في ذلك تحقيقا لمقصد من مقاصد الاسلام العالية وهو محور المصبيات
 الجنسية وتوسيع دائرة الاخوة الانسانية

هذه المرجحات لا تعزب عن علم اذ كياء المفكرين من الترك ولو كان أمر
 الأقوم والشعوب مما يقع فيه البرهان اذا ظهر لكان حل هذه المسألة من أهون
 الأمور ولكن الأقوم والجماعات تتبع الشهور والوجدان دون العقل والبرهان بل
 يقول الفيلسوف الاجتماعي جوستاف لبون انها لا تعقل ولا تطيق سماع الدليل فلا

مطمع إذا في رضاء الشعب التركي يجعل العربية لغة العلم والحكومة في الدولة كليهما كان في ذلك من الفوائد وأمن الفوائت لا سيما في هذا العصر الذي اشتدت فيه العصبية الجنسية في أوربا من عهد نابليون الى اليوم وصرفت عدواها الى البلاد المجاورة لها

إذا كنا لا نجد سبيلا الى توحيد اللغة لاجتراء فوائده فكيف السبيل الى اتقاء غوائل التنازع بين اللغتين السائدتين، وما يتبعه من تحريك عصبية الجنسيين، الذي هو أشد الأخطار على الدولة في العهد الذي يجب الاتفاق فيه على تميزها وإعلاء شأنها والتأليف بين اجناسها وعناصرها جهد المستطاع؟

يقول أكثر الباحثين المستقلين من الاجانب والعثمانيين ان حل هذا المشكل طريقا مبدئا ومثالا متبعا لا يحتاج منه الى النظر والاستدلال وهو ما عليه سلطة النمسا فينبغي أن يكون العرب والترك في الدولة العثمانية كشعي النمسا والمجر وان يكون سائر العناصر العثمانية كسائر العناصر في تلك الامبراطورية

أراني بهذا قد وصلت الى بحث لم أكن أرمي اليه، وطرقت بابا لا غرض لي الآن بالدخول فيه، باب البحث في المسألة التي يعبرون عنها بالمركية واللامركزية التي هي موضوع الخلاف بين الحزبين السياسيين الطبيعيين فينا وهما حزب الأتحاديين وحزب الاحرار فلندع تنازعهما للزمان يبرم فيه حكمه ولنعد الى موضوع اللغتين فنختم الكلام فيه برأيين احدهما ما نراه يرضي المفكرين ودعاة العلم والسياسة من العرب والآخر لأحد المفكرين والخبراء من الترك ولاندرني ايرضهم أم لا

﴿الرأي الأول﴾ هو ان يكون تعليم كل من الشعبين في المدارس الابتدائية الرسمية بلغته وان يكون تعليم اللغتين إلزاميا في جميع مدارس الحكومة الثانوية والعالية وان يكون تعليم العلوم في بلاد العرب بالعربية وفي بلاد الترك بالتركية وان تكون جميع معاملات الحكومة كل ولاية من ولاياتها بلغتها ويكون في الولايات العربية قلم ترجمة لاجل مخاطبة العاصمة وتلقي الخطابات منها بالتركية - وأما سائر الاجناس فيعلمون العلوم بالتركية لان أكثرهم يعرفها الا من كان منهم في الولايات العربية فإنه يكون تابعا لاهل ولايته فان لم يتيسر تنفيذ هذا الرأي في مدة هذا الدور الاول لمجلس الامة فالرجاء فيما بعده قوي اذا

كان الترك كما نلظ بمحبون الوفاق . وقدينا من قبل حاجة الترك الى تعلم العربية في الجزء الثاني (راجع ص ١١١ م ١٢)

(الرأي الثاني) وهو لعبدالله افندي مبعوث أزمير أودعه في مقالات له في التظيم نشرها في جريدة « تصوير افكار » وترجمته بعض صحف بيروت ومصر وهذه خلاصته نقلها عن جريدة الأتحاد العثماني البيروية قال:

أرى خير حل لمشكلة لغة العلم هو ان يتخذ الاتراك التركية لساناً علمياً لهم وان تؤسس بحماية الحكومة وتحت مراقبتها مراكز علمية عربية في قواعد الاقطار العربية مثل دمشق وأم القري ودار السلام تسعى في انهاض علوم الحضارة العربية التي أخذت تنحط وتضمحل منذ اقهرضت السلطنة العربية

وبذلك تنتشر العلوم والفنون بين الاتراك بلسانهم وتحفظ الحضارة العربية وترقى بلسانها الخاص من جهة وبما ينقل منها الى التركية من جهة أخرى وينجو الاتراك من الجهل بالدين وينهضون من هوة التعصب الاعمى التي لا يزالون ساقطين فيها الى اليوم . وان الحكومة لتقدر الخلافة حينئذ حق قدرها وتقوم بأعباء واجباتها ولو ان الدولة أدركت هذا الحل من قبل وعملت به لكثير سواد الترك الذين يعرفون العربية والعرب الذين يتكلمون بالتركية ولتحول لسان جميع العناصر العثمانية كالروم والارمن والارمن والارمن وغيرهم بقوة العلم منذ ثلاثة قرون أو أربعة الى لسان الترك لسان المعارف والحضارة (١)

اضطرتني الى استطراد هذه المسألة مع انها خارجة عن مبحث المدارس ما أراه من لزوم تربية الأذهان الى ان من الممكن بل من الواجب اتخاذ التدابير التي سردها واني لست أرى واسطة أحسن من هذه تقطع السنة الذين أصبح دينهم في هذه الأيام الضرب على نفقات الخلافة

وان منع دخول المؤيد وغيره من الأوراق المضرة الى الولايات العربية لا فائدة له بل ربما زاد اتباه الناس الى مطالعته

(١) ان لسان الترك لم يكن لسان علوم وحضارة وانما كان يمكن تنفيذ ذلك وقتئذ بالعربية كما حاول السلطان سليم

ليس نشر العلم في الولايات العربية باللغة التركية من الممكن كما انه ليس بالمعقول بل بالعربية فقط يمكن اشاعة العلم وان من الواجب حماية اللغة التي تريد تعميم العلم بها بين أمة (العرب) وحماية الافاضل أيضا من أهلها. وان اصلاح مدارس القسطنطينية لا يعد حماية للغة العربية لان اصلاح هذه وتعليم العليم بها من أقرب طريق لا يكون الا بتأسيس مدارس علمية في القطر العراقي والقطر السوري والقطر الحجازي وانشاء مجامع علمية عربية هنالك اعضاءها من العرب وموظفون بصورة رسمية.

ومنى تم ذلك نبغ تلك الاقطار في القريب الماثل فحول العلم وارهاط الفضل وزحف اليهم أصحاب المزايا في الشرق والغرب وفي مصر والسودان . فلا يمضي الزمن اليسير حتى تنتقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بكل فروعها وسوف تندم الخلافة العثمانية اذا لم تكن هي المتوسطة لهذا النقل والفائدة لهذه الحركة.

وفضلا عن ذلك فان دولة كاخلافة الاسلامية وسلطنة كالسلطنة العثمانية تحكم بلاد العرب الذين لا تزال نستدير بأنوار علمهم وفضلهم لا يمكنها الاكتفاء بالقسطنطينية وحدها مركزا علميا لهذا الملك الطويل العريض ، فان مكة عاصمة المسلمين اجمعين وبغداد دار الخلفاء ومنشأ العلوم الاسلامية ودمشق عاصمة الخلافة الاموية وأكبر مدن السوريين الذين نهضوا بمعارف مصر ومطبوعاتها وصحافتها في هذا العصر الاخير هذه المدن الثلاث يجب ان تكون مراكز عالية مهمة في هذه السلطنة وعندئذ يخلط الأئمة البصريين والكوفيين القدماء بوضع سنين أئمة واساتذة عراقيون وسوريون وحجازيون يحملون دولتنا مدنية نصيرة للعلم واللغات حتى اذا ما امتد لسان الى الخلافة يستلها العلم اه بعبارة الاتحاد

(المناجح) كنا نتمنى لو اطلعنا على رأيه في المدارس عاهة . واننا نقتبس بعد هذا مقالة تاريخية في الموضوع من مجلة المقتبس الشهيرة فيها رأي ثالث في المسألة وهذا نصها

﴿ العربية والتركية ﴾

أصابت الأمة بعد سقوط دولة نبي العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عاينته من أهوليل الحروب والفتن ، ولما قامت الدولة العثمانية فجمعت تحت لوائها

الاقطار المختلفة نظرت الى الاقطار العربية من الوجهة السياسية ولم تكن بها ولا يغيرها من الوجهة العلمية الاجتماعية شأنها في عامة أدوارها وأقطارها ولم يشذ عن ذلك الا مصر فكانت أشبه بمملكة مستقلة حتى بعد استيلاء العثمانيين عليها ، وبعد ان قامت الدولة تؤسس لها مدارس في العاصمة والولايات لتعلم العلوم الحديثة وتبديل النور بالظلمة والعلم بالجهل قام محمد علي والي مصر فنزع القطر المصري من المماليك في الظاهر ومن الدولة في الباطن وانشأ فيه مدارس عربية وتوفر بدلالة جماعة من مستشاري الفرنسيين النباه على ترجمة الكتب العلمية من اللغات الأوربية فانتعشت اللغة العربية في مصر فقط وظلت كحف العرب عنها يأخذون علومهم وموطن الطباعة والكتب والصحف وبتوارها يستضيفون وذلك لنهاها العظيم وتاريخها الجيد القديم ، بقي الأمل في نهوض العربية محصورا في مصر لان الشام والعراق والجزيرة والحجاز واليمن ومجد وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش أمست في قفور ، وقد أنشئت في تونس وسورية بعض المدارس والمطابع تدرس بالعربية وتطبع اللازم من الكتب العربية لكنها لم يمتد على تأسيسها بضع سنين حتى أطفئت شعلتها بما أصاب سورية من بلاء المراقبة وما أصاب تونس من الاحتلال الفرنسي ، والمراقبة واحتلال الغريب مما يقتل روح المسلم وينزع حياة النهضة القومية ، وقد أوشكت مصر ان تصاب بضمف لفتها لما احتلها الانكليز لولا ان قامت الأمة وطلبت جعل العربية لغة المدارس الابتدائية والثانوية فلم تر الحكومة بدا من اجابة طلبها ،

اما هذه الديار فكان أول ما انصرفت اليه الوجوه (١) بعد إعادة القانون الاساسي العثماني مسائل التعليم فالتركية لسان الدولة الرسمي تريد ان تعلمه جميع العناصر العثمانية ليحيى منهم في المستقبل مزيج واحد وتقوى وحدتهم السياسية ، وقد نشرت نظارة المعارف برنامجها ولم تشهد فيه ذكرا للعربية في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية بل قالت ان تعاليم العلوم بالتركية للذكور والأناث وللصغار والكبار وللغرب والترك والروم والأرمن والبلغار والأرناؤد حتى ان المبادئ البسيطة التي سمحت بتعلمها من العربية تدرس في كتب ألفها أترك باللغة التركية ، فذكرك بعض الباحثين في

أحوال البلاد والعناصر ان غرض الحكومة من هذه الخطة (تبريك) العرب وغيرهم ، وهو عمل اذا كان نافعا من حيث السياسة فلا نفع فيه من حيث الاجتماع والعالم خصوصا بسد ان وأينا أصغر الشعوب الأوربية تحافظ على لغتها الأصلية محافظتها على اعراضها وأموالها وأرواحها ،

لا بد للحكومة ان تجعل التعليم اجباريا في المملكة فاذا جمعت بالغة التركية ولم تراع حالة كل قطر ولغة أهله تسوء العاقبة ولا تأتي الشجرة التي تريد غرسها الآن بثمره جنية بل يكون شأن البلاد العقم في العلم والفكر ومن لم يتعلم العلوم بلغته هيئات ان يأتي منه عضو يفيد أمته وبلادها ، واذا فعلت الدولة ذلك الآن فتكون في عهدها الدستوري أظلم منها في عهدها الاستبدادي وتكون حكومة مصر أرفق بأهل مصر من حكومتنا بنا لانها منا فيتنظر عن يدها الكثير وتلك ليست منهم وكل شيء تأتي به بعد كبيرا ،

وبعد فان كانت الحكومة العثمانية لم تنشط للغة العربية في الماضي مع انها لغة الدين والآداب والحضارة فهي لم تضع المقاب في سبيلها مباشرة ولكن الفلطة الفظيعة التي ارتكبتها ولا يفرها لها التاريخ هو ان القائمين باعبائها منذ البدء جعلوا اللغة التركية لغة الدولة الرسمية خلافا لما جرت عليه دول الاسلام السالفة كدولة المصامدة البربر في الغرب الأقصى والأدنى ودولة الجراكسة في مصر والشام ودولة آل سلجوق التركية في العراق والجزيرة ودولة بني بويه الفارسية ودولة آل أيوب الكردية في مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها من الدول التي طرحت لغاتها وعمدت الى اتخاذ اللغة العربية لغة الحكومة والدولة فكان الجراكسة والبربر والفرس والاكراذ والأتراك يتخلون عن لغاتهم مختارين ولا يستمعون في الرسميات غير العربية لغة البيان والعلوم أما الترك فحروا على غير سنة الدول السالفة فلم يروا من المصلحة تعلم لغة عامة المسلمين في مشارق الأرض ومقاربها واكتفوا بلغة مدينتهم بدوية ما برحوا يتوفرون منذ قرون على اصلاحها وهيئات ن تكون كما يحبون ،

يلما جاء السلطان سليم فاتح مصر والشام وكان على شيء من المعرفة يحسن

العربية كما يحسن الفارسية والتركية أحب ان يتلافى الغلط الذي سارت عليه دولته وان يجعل اللغة العربية لغتها الرسمية أسوة بالدول الاسلامية البائدة فقام عليه بعض ضمايف العقول من أهل دولته وأرادوه على التدول عن رأيه مخافة ان تندثر لغتهم بل مختلصا من ان يتعلموا لغة غيرها فكان عملهم هذا من جملة السدود التي سالت دون آكل عثمان وبسط أيديهم على الممالك الاسلامية المجاورة لهم واللغة العربية أعظم رابطة بين المسلمين ،

ولقد كانت الدولة ولا تزال تعلم في مدارسها الرسمية العربية كما تعلم الفارسية وذلك لأن التركية مزيج من هاتين اللغتين وبدون معرفة قليل من اللغتين لا يتأني تركي ان يكتب كتابة صحيحة في لغته فكان شأنها من بعض الوجوه شأن المدارس في أوروبا لا تزال الى اليوم تعلم اللاتينية واليونانية لانها أصل لغات أوروبا وان كانتا بادتا أو كادت ، ولكن مدارس أوروبا أخرجت كتابا بهذين اللغتين ولم تعهد من مدارس الحكومة العثمانية كتابا بالعربية أو الفارسية ، هذا والتركية ليست لغة دين ولا لغة علم ولا لغة حضارة قديمة ولا مدنية معروفة كالعربية التي شهد أهل الارض بأجهاد أهلها وحضاراتهم ، ومن الغريب انه لم ينبغ في الدولة العثمانية كاتب عربي من أصل تركي على حين نبغ وينبغ من الفرس والاكراذ وغيرهم أناس يؤلفون بالعربية فتحسبهم عربا خلصا ، وانك لتقرأ المعجزة في كلام ابن كمال باشا وكاتب جلبي وطاشكوبريلي وغيرهم من الاراك الذين عانوا القلم العربي وعدوا في المصنفين ، الا هراء في كلام الراغب الاصفهاني وأبي بكر الخوارزمي ووجه الاسلام الغزالي بل ان هؤلاء على منشأهم الفارسي كانوا أمه الانشاء العربي ،

إذا تعلم أبناؤنا اليوم على الطريقة التركية لا يلبثون ان يجيئوا أتراكا ويتقنون التركية كأرقى أبنائها وبذلك لا يخدمون أبناء لغتهم أدنى خدمة وقد رأينا معظم الذين تعلموا من أبناء سورية والعراق في المدارس الرسمية لا يحسنون التكلم بالعربية العامية فضلا عن ان يكتبوا سطرين صحيحين بلغتهم بل ربما رأيتهم يمزجون المصطلحات التركية وبعض الالفاظ التركية بينهم يكلمونك بالعربية فكان شأنهم في هذا شأن أكثر التوانسة والجزائريين من سكان المدن يتكلمون

بهرية تكاد تكون أقرب الى الأفريقية لما خالطها من الألفاظ الفرنسية والاسبانية والبلغارية «
وقد رأى بعض العقلاء أن أحسن حل لمسألة اللغة العربية في المدارس الرسمية وأسلمه عاقبة على اجيال الدولة المختلفة هو ان يجعل تدريس العلوم المادية كلها باللغة العربية كالطبيعات والرياضيات والفلك والكيمياء والطب وان يجعل العلوم السياسية كلها باللغة التركية كالجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والحقوق والاجتماع وبذلك لا يقع حيف على العرب وهم نصف الدولة أو يزيدون ولغتهم أفضل لغات سائر العناصر العثمانية « والمستقبل كفيل بحل هذه المعضلة العلمية «

تقرير (١)

عن امتحان مدرسة المعلمين الناصرية

في العام الدراسي سنة ١٩٠٨ الداخل في سنة ١٩٠٩

صاحب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف العمومية حضر تلمي

قبل كل شيء أقدم الى سعادتكم أكل الشكر والامتنان على ان جعلتموني موضع الثقة فاخترتموني لرئاسة امتحان هذه المدرسة التي هي في نظري من أهم المدارس وأفيدها لهذا القطر ولهذا قد دقت البحث واختبرت كل شيء في الامتحان بنفسى واني عارض ما علمته بالتفصيل

(١) رأيت ان وقت الامتحان الذي حدد لهذه المدرسة غير ملائم لحالتها

(١) ننشر هذا التقرير لما فيه من الفوائد الدقيقة المتعلقة بفن التعلم وحاله في مدرسة من أرقى المدارس المصرية وأهمها عندنا بيان سوء أثر تعليم الأزهر في نفوس طلابه من حيث إدراك المسائل ومن حيث بيانها وهو ما شرحه صاحب التقرير الشيخ عبد الكريم سلمان الشهير العضو في المحكمة الشرعية العليا « في مسألة (ج) فمسي ان يكون فيه عبرة لمديري نظام الأزهر كما يحب له ويرضى